١ ـ قضايا أدبية

تأليف : حسين مروه

دار الفكر – القاهرة – ١٢٢ ص .

•

لم يكن بد ، للنهضة العربية الحديثة ، من أن تعيد النظر بكل ما يمس شؤون الحياة العامة ، في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة .

وكان من الطبيعي في إطار « إعادة النظر » هذه أن تنشأ ، على جانب السياسة قضايا سياسية ، وعلى جانب الاجتماع قضايا اجتماعية ، وهلم جرا ..

وللأدب حياته التي لا تنفصل عن حيوات الناس ، ولا يمكن أن تنفصل عنها ، بالإضافة إلى أنه الأساس في كل نهضة ، وكل رقي ، وكل تقدم . بيد أن حياة الأدب تتعرض دوماً لما نسميه « الطغيان » أي إهمالها من الناس ، والانصراف عنها نحو الكسب ، أو السياسة ، أو اللهو ، فلا تنمو بعد ذلك ، ولا تزكو ، وبين ازدهارها وطغيان الشؤون الأخرى عليها ، وتكيفها وفق المناخ الفكري والاجتماعي ، تنشأ مجموعة من القضايا المتصلة بها ، المنحدرة من وجودها ، تشغل بال المفكرين والواعين في كل مكان ، وكل جيل . وهذه القضايا ، هي التي يعالجها الأستاذ حسين مروه ، في كتابه هذا ، وفق فلسفة خاصة ، ومعايير خاصة .

وُضع هذا الكتاب ونشر إسهاماً من مؤلفه في تجديد الحياة الأدبية عند العرب المحدثين ، ومشاركة منه للأدباء والنقاد والمفكرين الذين اجتمعوا اكثر من مرة في دمشق وبيت مري (لبنان) تتدارس هذه الشؤون الأدبية ، وكان آخر اجتماع لهم في بلودان حيث انعقد المؤتمر الثاني لأدباء العرب .

يقول الناشر ، بتوقيع « دار الفكر » ما يلي : « ... ونحن على ثقة من أن (هذا الكتاب) سيساهم في عرض مشاكل (الأدباء والكتاب) وخلافاتهم بالروح التي يجب أن تعرض بها ، وبالأسلوب الموضوعي المتزن الذي يساعد على توحيد الصفوف ، وعلى تدارك الأخطاء من جانب أو من آخر . لا نريد للخلافات أن تطمس وأن تنام ، ولكننا نريد لها أن تساعد في توضيح نقط الاتفاق أولا . ذلك لأنه يتحتم على الحركة الثقافية اليوم أن تماشي المعركة السياسية خطوة خطوة ، فتنهض بدورها في الإنارة والتوعية ، وفي تعبئة القوى ضد الخطر الذي يهدد اليوم الكيان العربي بأسره . »

أظن أن في هذه الفقرات من « مقدمة الناشر » ما يشير إلى الروح التي يعالج بها الاستاذ مروه قضايا الحياة الأدبية ، في هذه المرحلة من تاريخنا الراهن ، فهو لا يفصل الأدب عن المتجه السياسي الذي يسير فيه الناس ، وبالتحديد الدقيق ، الذي ينبغي للناس أن يسيروا فيه ، من وجهة نظر مرسومة سابقة .

أما الكتاب نفسه فإنه يتناول الموضوعات الآتية : ١ – قديم وجديد . ٢ – قضية الأدب الموجَّه . ٣ – أدب الطبيعة والغزل (أدب البرج العاجي) . ٤ – الفصحى والعامية ولغة الحوار . ٥ – عمر فاخوري : ما مذهبه الفكري ! ٦ – مؤتمر الكتاب السوفييت .

المؤلف حريص ، في كتابه هذا ، على الفصل بين الأدب التقدمي ، والأدب الرجعي ، وحريص كذلك على « الانحياز المطلق » للأول ، والقضاء المطلق على الثاني ، ذاهباً في أقصى ضميره إلى تصنيف الأدباء بين تقدميين ورجعيين ، ولا ثالث ، ولا رابع ، ولا خامس ... لهذين الصنفين ، ثم تستحوذ عليه هذه الفكرة في التصنيف ، فيصبح النقد نوعين ، والتاريخ نوعين ، والفكر نوعين ، والفلسفة نوعين ، ويظل هو مع الأول من كل نوع ، ضد الثاني مضادة عنيفة لا هوادة فيها ، أي يظل مع النقد التقدمي ، والتاريخ التقدمي ، والفكر التقدمي ، والفلسفة التقدمية !

أما المراد من هذا النعت « تقدمي » فإنه يختلف بحسب كل نوع ، وكل عصر ، وكل موقف ، ويتضح حين يلصق بالأدب ، وفي إطار مذهب أدبي محدد هو « الواقعية الجديدة » حيث يقرر المؤلف أن « القيمة الفنية الصحيحة عندنا (أي عند النقاد التقدميين الواقعيين الجدد) لا تكتمل في العمل الأدبي إلا بركنين أساسيين هما : الشكل والمحتوى ، وذلك بتفاعلهما معاً ، وبتآزرهما جميعاً على إبراز المضمون الأدبي ، بكل ما ينبغي أن يشتمل عليه هذا المضمون من جمالية الشكل الفني ، ومن تحديد الدلالة الاجتماعية كنهما . »

ليس لي أي اعتراض على هذا الكلام ، ولكن الكتب العربية التي تعرضت للبلاغة وتحدثت عن أفكار « الأعراب » القدامى ، ذكرت لهم من الأقوال في هذا الشأن ، أي في مطابقة المبنى (الشكل) للمعنى (المضمون) ، وفي حلاوة اللفظ وصدق الأداء وكمائه – مالم يوفق إلى مثله اكبر تقدمي ، ولأجدّ واقعي ! وأحسب أني في غنى عن الاستشهاد وذكر الأمثلة ، فهي وافرة ، مبثوثة ، في « العقد الفريد » و « زهر الآداب » وغيرها بما لا زيادة عليه لمستزيد !

بيد أن قيمة هذه الفصول التي يقدمها الأستاذ مروه لا ترتكز على طرافتها ، ولا تقوم على ما فيها من أفكار جديدة ، بمقدار ما تكمن في النور الذي تلقيه على الاتجاهات النقدية ، والآراء الاستاطيقية في الأدب ، لدى الروس المحدثين .

٢ ــ الكميت بن زيد

تأليف : احمد صلاح الدين نجا

دار العصر للطبع والنشر – بيروت – ٢٤٠ ص .

●

هذا الكتاب أول حلقة من « سلسلة الأدب السياسي » التي تنوي « دار العصر » في بيروت إصدارها ، وعنوانه الكامل هو : « الكميت بن زيد الأسدي ، شاعر الشيعة السياسي ، في العصر الأموي » ، وهو عبارة عن دراسة أدبية – تاريخية لسيرة شاعر عاش في القرن الأول للهجرة « معارضاً » لرجال الحكم في عهده . وقد وضعه مؤلفه لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب ، من جامعة ستراسبورغ ، بعد مشاورات قام بها مع أساتذة المستشرقين الفرنسين المشهورين مثل ماسينيون ، وبلاشير ، وغيرهما .

قدم هذا الكتاب – الأطروحة الأستاذ فؤآد أفرام البستاني ، بقوله : « .. وكان من حسن الاتفاق أن وقف (صاحب هذا الكتاب) همه على شخصية من شخصيات الأدب والعقيدة معاً ، دينياً ، وسياسياً ، من تلك الشخصيات المؤثرة في اتجاه التفكير الاجتماعي في عصرها ، على ندرة الأبحاث فيها ، وتفرق المعلومات بشأنها . فكان لدراسته لذة الاكتشاف ، ومفاجأة الارتياد ، وفضل الجمع والتمحيص والغربلة ، وجرأة السير على الطريق غير المعبدة ، وهي صفات « المحاولات » الصحيحة في الأدب والتاريخ والاجتماع ، وسائر مناحي البحث ! »

لا أعرف الجو الفكري ولا الروحي الذي يسود الجامعات في باريس ولندن،ولا أستطيع الحكم على أذواق هؤلاء المستشرقين وطرائقهم في توجيه الابحاث والباحثين على السواء ، وإنما أنا على يقين بأن حاجة هذه البلاد إلى « الكميت » و « الطرماح » و « السيد الحميري » وأضرابهم قد انتهت ، وما كانت هذه الأجيال في يوم من الأيام في حاجة الى نبش هذه المدافن ، وإطلاع الناس على ما تحتوي من آثار عتيقة بالية .

لقد كان من الأفضل لمؤلف هذا الكتاب أن يحدثنا عمن شاء من الأدباء المحدثين في مصر أو في لبنان أو في العراق أو في سوريا أو في أي بقعة من بقاع الدنيا الغربية ، على أن يرجع بنا ثلاثة عشر قرناً إلى الوراء لسماع المهاترات السياسية ، و « الحكايات » الفارغة ، والأحاديث الممجوجة الجوفاء . وكان الأفضل أن يعرض لنا سيرة أديب أوروبي مثلاً،من الأدباء الجدد ، الذين يفيدون الآن في توجيه الناس .. فالاختيار ، اختيار الموضوع – في نظري – غير موفق وغير مفيد ! ولا أحسب أن الدكتور نجا هو المسؤول عن اختياره ، وإنما هم أساتذته المسؤولون !

أما الكتاب في جوهره فقد وضعه مؤلفه في قسمين : الأول يتناول « الكميت » كشاعر وكأديب ، ويفصل آثاره وقيمته كمجدد، والصنيع الفني في شعره . والثاني يبحث الجانب السياسي والعقائدي من شعر الكميت ، ويتحدث عن الخلافة ، ونظريات المفكرين فيها ، واختلافهم حولها ، في تلك الأيام : موضوعات قديمة ، مبثوثة بغزارة في مؤلفات الأقدمين ، يمكن لكل من اطلع عليها أن يعيد الكتابة فيها .

وإذا كان لهذا السفر من فائدة ، ففائدته أنه مكن الأستاذ نجا من نيل لقب « دكتور » لا أقل ولا أكثر !

ونحن ننتظر أن يوافينا الاستاذ نجا بدراسات غير هذه الأطروحة ، تتصل بهذا العصر وروحه ومشاكله ، إذ يظهر من كتابه أنه « مؤهل » للخوض في الابحاث الأدبية ، قابض على زمام لغته ، واسع الإطلاع ، عميق الفطنة في الاستنتاج ، كما أوضح الاستاذ البستاني في المقدمة .

٣ ــ الشكليات وروحها في الأديان

تأليف : واصف البارودي

منشورات عباد الرحمن – بيروت

●

الحياة الدينية ، كالحياة الأدبية ، كالحياة السياسية والوطنية ، تحتاج إلى دراسة جديدة والأستاذ البارودي يواجه الحيوات المختلفة من زاوية تربوية ، وكثيراً ما تجد في الموضوعات التي يتناولها ضرباً من الطرافة الفكرية ، التي تنبيء عن تأمل متصل في شؤون الناس ، ورعاية لعقولهم واهتمام بمسالكهم ، وحدب عميق على مشاكلهم ما دق منها وجل .

وهذا « الكتيب » الجديد الذي يضيفه مؤلفه إلى سلسلة طويلة من مصنفاته في التربية والأدب والاجتماع ، يثير مشكلة من أعقد المشاكل في الحياة العامة ، ولكنها تبرز أكثر ما تبرز في الحياة الدينية ، ألا وهي قضية « الشكليات » وطغيانها على الروح ، على الجوهر ، على الأساس ، في كل منحى من مناحي الوجود .

يقرر الأستاذ البارودي في مقدمته أن « المهم أن يثار في البحث الديني محاولات في التفكير العلمي الصحيح » . ولن يكون التفكير علمياً في الدين إلا إذا فهمنا « الغاية » من الأديان جملة وتفصيلا في أول منزلة ، ثم الغاية من « الطقوس الدينية » في المنزلة الثانية .

وهنا ، نجد البارودي واضحاً ، قوياً في بيان ما يريد بيانه : « أهداف الأديان جميعها رفع مستوى المجتمع » فإذا ران الانحطاط على مجتمع متدين ، وسادته الفتن ، وتحكم به الأعداء ، فهذا يعني دون مواربة ، أن هذا المجتمع متعلق بشكليات الدين ، مهمل لجوهره ، أما الطقوس فهي « ليست غاية بذاتها ولا قيمة لها إن لم تؤت ثمراتها ، وثمراتها حسن المعاملة وسمو الخلق »

والأغراض التي يرمي إليها واصف البارودي من هذا الكتيب ليست ، في التحليل الأخير ، سوى محاربة الدجل والنفاق والرياء ، والتستر بالشكليات لإخفاء الأعمال التي لا يقرها ضمير ولا خلق ولا دين !

وليس هذا كل ما يحمله ذلك الكتيب الصغير بين دفتيه ، ففيه بالاضافة إلى دراسة الشكليات في الدين ، بحث عن « الرأي العام في الإسلام » وكيف لهذا الرأي أن يظهر ، وما هي دلالاته ، وأبدع ما فيه هذا الدفاع الحار عن « الضعفاء » الذين هم أتباع الرسل ، وعماد كل رسالة نبيلة حقة .

وفي الكتاب أخيراً بحث في « معاني الهجرة » وكيف أنها مظهر من مظاهر الجهاد القائم على الإيمان . والأمر كله هو هذه الحرب التي يشنها البارودي على الدجل والمدجلين ! إنه « تربية » لرجال الدين ، ومقاومة للنفاق في كل ناحية .

عبداللطيف شرارة

اكابر

مجموعة قصص للاستاذ ميخائيل نعيمه

منشورات دار بيروت — ٢٠٠ ص

•

عندما يقف ناقد ادبي ليصدر حكمه على نتاج ما لأحد ادبائنا الكبار ، فإنه — ولا شك — سيتهيب كثيراً ، وخاصة اذا كان الناقد ليس له ما للمنقود من شهرة واسعة ، وهذا ما حدث لي . فقد فكرت طويلا قبل ان اقدم على نقد « اكابر » المجموعة القصصية الاخيرة لميخائيل نعيمة. وزاد في تهيبي هذا اني لم اطلع على كثير من مؤلفات الكاتب السابقة ، وهذا مما يجعل نقدي ناقصاً كثيراً ، والحق ان علينا — عند النقد — ان نأخذ نتاج كاتب ما ككل واحد ، وهذا أقر سلفاً بأنه ينقصني هنا .

ولعل اول ما يستوقفنا في هذه المجموعة هو انها تندرج تحت لواء الادب القصصي ، وليس هذا بالاكتشاف العظيم ! ولكن ذلك يجعلنا نحس بمقدار اهمية الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها الادب القصصي . وعلينا ان نقدر كثيراً مشاركة احد كتابنا الكبار في معركة القصة، لأن هذا يعني ان مجتمعنا الحديث صار يفرض نفسه حتى على الكبار من ادبائنا . وعدا عن ذلك فإني اعتقد ان المؤلف نحا في هذه المجموعة نحواً جديداً —لا اعتقد انه اهتم به في آثاره السابقة وهو محاولة دراسة المجتمع . ولعل عنوان المجموعة فقط « اكابر » يدل دلالة كاملة على نزعة المؤلف الجديدة هذه . ولكن اية دراسة للمجتمع لابد ان تقوم على اسس موضوعية ، دقيقة وواقعية ، تتمكن من توجيه اضواء كثيرة على خفايا هذا المجتمع ، وعلاقاته ، واسسه التي يقوم عليها . والناقد المعاصر لم يعد يكتفي بإصدار حكم قيمة فيقول : هذا جميل وهذا قبيح ، كما كان شأن النقد في العصور القديمة ، بل صار يرافق الفنان في عملية ابداعه ، فيحللها كما يحلل العناصر التي استند اليها الفنان في محاولة تعبيره .

وفي الحقيقة ان لكل فنان موقفاً من الانسان والمجتمع والحياة ، شاء ام أبى . وهذا الموقف الخاص هو الذي يحدد اتجاهه . وقد يتكشف هذا الموقف احياناً عن اتجاه لا يعترف به الفنان نفسه ، ولكن الناقد لا يهتم بما اراد الفنان بل بما كتب الفنان ، اي بالاثر نفسه ، بكل دلالاته واتجاهاته ، لا بإرادة الكاتب ، لأن الاثر الفني عندما يخرج من بين يدي الفنان لا يعود ملكاً له ، بل يصبح ملكاً للشعب ، وللشعب فقط حق اصدار الحكم عليه ما دام قد صار ملكه وهو في الاصل موجه اليه . ولذلك فإن الفنان — شاء ام أبى كذلك — مسؤول عن نتاجه امام الجمهور ، والناقد هو الذي يمثل الرأي العام . وهكذا فإن نقدي لهذه المجموعة سينصب على شيء واحد هو حقيقة فهم المؤلف للمجتمع الذي قام بدراسته ومقدار الإجادة الفنية التي حققت له إمكان عرض هذا الفهم على الجمهور .

ان ميخائيل نعيمة في « اكابر » انقلب الى اديب مجتمعي يحاول تحليل المجتمع العربي وابراز مفاسده وتناقضاته . ولكن هذا لا يكفي — في رأينا — لنعد الكاتب من ادبائنا الواقعيين او الشعبيين ، وليس كل من تكلم عن الشعب يعد اديباً شعبياً . وهذا ما اخطأ في فهمه الناقد الاستاذ انور المعداوي عندما رد على كلام توفيق الحكيم وطالبه بإبدال حرف الجر اللام بالحرف عن ، لأن التكلم عن الشعب قد يتكشف احياناً عن اتجاه رجعي ، منحل ، معاد للشعب نفسه . ان الاديب الشعبي الحق هو الاديب الذي يتمكن من التعبير عن القوى الانقلابية التي تضطرم في اعماق مجتمعه محاولة تخليصه من الاوضاع القائمة المهترئة ، ومعيدة اليه الكرامة والرفعة . وهذا لا يمنع الكاتب من التعبير عن القوى الرجعية التي تقف في وجه القوى الاولى ولكن في حدود عرض هذه القوى الرجعية بشكل يساعد على الاسراع في ازالتها والتخلص منها . وهنا في الحقيقة تكمن مأساة ادبنا « الواقعي » الحديث ، فكم من كتاب خيل إليهم ان الواقعية هي نقل الواقع كما هو ، بلا تحريف او تشذيب او اختيار ، وكم من كتاب خيل إليهم ان الاديب هو مرآة مجتمعه ولم يستطيعوا ان يقرنوا بين المرآة والنور مطلقاً ، فجاء نتاجهم اكثر سواداً وقبحاً من واقعنا نفسه .

ان مجتمعنا برأي ميخائيل نعيمة مجتمع قاس ، جاف ، ينز بالصديد والحقد والعدم .. مجتمع لا عاطفة فيه .. مجتمع يخنق كل انسان ويقتل الابداع فيه .. فلا القومية ، ولا الوطنية ، ولا الدين ، ولا المبادئ ، ولا المثل العليا تستطيع انقاذ الانسان من الانجراف نحو الارض الجافة القاسية .. والانسان في هذا المجتمع ليس انساناً ولا حرية ولا صراعاً ، بل هو النتاج المتحجر لهذا المجتمع .. ويزيد في احساسنا بهذا الجفاف ذلك الاسلوب الذي لجأ اليه المؤلف .. وهو اسلوب جامد كأنه نحت من صخر ، لا عاطفة فيه ولا خيال ولا حرارة . وليس من شيء يهب الحرارة كالاسلوب الحي ، الداخلي ، الايحائي ، الذي يكشف اكثر مما يسرد . وهذا ما يحتاج اليه كتاب « اكابر » .

وهكذا من مأساة الجفاف في الحياة ، ذلك الجفاف الذي عبر عنه الكاتب في قصيدته الرائعة « النهر المتجمد » ، تتشكل مأساة اخرى هي مأساة الانسان الذي يفتش عن الحرارة — وبالحرارة قوام الحياة — ولكنه لا يجد مبتغاه قط فالحياة كذلك النهر المتجمد الذي كبلته وذللته « يد البرد الشديد » ، واذا به يفقد الحياة فلا « يسرح الحسون فيه مردداً ألحانه » والصفصاف من حوله « لا ورق عليه ولا جمال » . يجثو كئيباً كلما مرت به ريح الشمال » . ولكن نظراً لطبيعة النهر المادية من حيث انها تختلف عن طبيعة الانسان الروحية ، فان النهاية ايضاً لن تكون واحدة لأن النهر سيفك أغلاله عند عودة الربيع فتكر موجته النقية « حرة نحو البحار » وسينسى الحور « ما اعتراه من المصائب والمحن » ويغرد « الحسون فوق غصونه بدل الغراب » . اما الانسان فإنه يأتي هذا العالم وفيه آمال تغرد واحلام ترفرف ، وله « قلب ضاحك مثل المروج » ، ولكنه سرعان ما يصطدم بالواقع ، بالحياة ، بالجفاف ، بالقسوة ، بالحروب ، واذا بذلك القلب المغرد يتجمد كما تجمدت مياه النهر في فصل الشتاء ، واذا به لا يهتم « بنوح البائسين » او « ضحك ابناء الصفاء » لأن ضوضاء الحياة قد نبذته عنها فغدا « جماداً لا يحن ولا يميل الى حد » . وهنا

مكتبة هاشم
شارع سوريا بيروت
تلفون : ٢٦٠٧٩

كتب ادبية — مدرسية — روائية
ادوات قرطاسية
مبيع ومشترى كتب مستعملة

تبلغ المأساة ذروتها لأن النهر سيعود الى جريانه وحياته الباسمة الطبيعية. اما الانسان فسيبقى قلبه مكبلا ، وسيختنق فيه كل امل ، ويصمت فيه كل لحن .

« وعندما الموت يدنو والالحد يفغر فاه

اغمض جفونك تبصر في اللحد مهد الحياه » .

اري اني انتقلت الى الشعر .. لا بأس ما دام ذلك يساعدنا على فهم موقف الاستاذ نعيمة من الحياة .. قلت ان المأساة تتشكل عند الانسان من هذا الاحساس بالجفاف ، فالحياة ، كالكتاب يقرأ من عنوانه كما يقول الاستاذ نعيمة في قصة « اكابر » ، وعنوان الحياة هو الجفاف . والجفاف يتمثل في هذه القصة ببخل السماء : « لقد بخلت السماء بالمطر في اوانه ،وجادت به في غير اوانه ، فكان القحط ، وكانت هذه الكثرة الهائلة من الزؤان مع القمح » . فالزؤان ليس الا الجفاف والشح واليباس ، والقمح هو الحياة والحرارة ، ولكن مـا اكثر الزؤان وما اقل القمح .

وستوت في قصة « مصرع ستوت » مظهر آخر لذلك الجفاف اذ انها « لم ترزق اولاداً ، ولم يمض على زواجها اكثر من عشر سنوات عندما اختار الله زوجها اليه » ، واذا بها « لا تزار ، وقليل جداً هم الذين عرفوا بيتها او تذوقوا زادها » ثم انها في يوم من الايام « وقعت فعطبت وركها » فوجدت « ألا مناص لها من عصا تستعين بها على المشي » . ولست اجد مظهراً يعبر عن الجفاف كمنظر هذه العجوز التي فقدت كل شيء وصارت هزيلة ، قاسية ، كالعصا التي تستعين بها .

والخالة مرشا في قصة « ام وليست بأم » بسنيها الخمسين ، وطبعها الشرس وكرهها للأطفال لأنها لم ترزق بواحد منهم ، وزوجها الذي غادرها بسرعة ، و « ثدييها المتهدلين الفارغين » . وكذلك كسار الحصى في القصة الثانية بمطرقته التي تنهال على الحجارة فتفتتها حصى ، وكدحه المستمر منذ شروق الفجر الى غروب الشمس ، وصمته المطبق ، فلا يرد السلام على الذين « يطرحون عليه السلام او يطلبون له العافية » فكأنه « يتمم سراً من الاسرار التي يقوم بها الكون فلا يصح ان ينقطع عنه ولا لمحة طرف » . وكذلك تأبط شراً في قصة « عدو النساء » بلسانه الساخر ، وحقده الابدي ، وطبعه الهجاء المر ، وعزلته القاسية ، كل هذه الشخصيات ليست الا التعبير المادي عن الجفاف الروحي .

اما في قصة « عصفور وانسان » فإن المؤلف يقدم لنا اعلى مستوى من الاحساس بالجفاف ، هذا الجفاف الذي جعل الصبي « صبحي » ينفر من الحياة ويحمل في قلبه العداوة لكل البشر لأنهم اوغاد « يزعجون الفراخ في اعشاشها ويفجعون والدة في اولادها » . ومع ان المؤلف يحاول ان يصور لنـا « صبحي » وكأنه القسوة نفسها فقال يصفه « لعل اغرب ما في صبحي شكل رأسه فهو أشبه ما يكون بالكوز المقلوب وقد غطته لبدة من الشعر الفاحم الواقف كالمسلات ، فكأنه ريش قنفذ » الا اننا نلاحظ ان « صبحي » يمثل الجفاف المادي بشكل جسمه الغريب ، ولكن المؤلف لا يهتم مطلقاً بهذا النوع من الجفاف ، بل هو يطمح الى تصوير الجفاف الروحي ، جفاف الروح والقلب لا الجسد والعقل ، وهذا ما تمثله الناحية العاطفية من حياة « صبحي » .

وهكذا نتبين ان الاستاذ نعيمة يعتقد بأن الانسان محكوم عليه بالجفاف ، بالجلمودية ،وإن حاول في كثير من الاحيان الانفلات من هذه القيود الحجرية . ولكن المأساة لا تكتمل والصراع لا يتم اذا استسلم لهذا الجفاف منذ اللحظة الاولى ، ولا بد له في يوم من الايام ان يستعيد احساسه بأنه كائن من لحم ودم ، له عواطفه وآماله ونزوعه الى المثل العليا ، ولأن فقده مثل هذا الاحساس يجرده من النزعة الانسانية تماماً . وهكذا تبدأ المرحلة الثانية من حياة الانسان في عالم الاستاذ نعيمة .. تبدأ المرحلة الثانية بعد فترة طويلة قضاها الانسان في التحجر والتقسي .. وهذه المرحلة ليست الا محاولة الانفلات من الوضع الذي صمم القدر الانسان فيه ، محاولة للانفلات ليس إلا ..

ولكن كيف سنبدأ المحاولة .. ان الانسان أصيب بالجفاف الروحي منذ ان وطئت قدماه الارض لأول مرة . فمن اين يستعيد حرارته ؟ .. لقد افقده النضال القاسي كل مقدرة على الحب والعطف .. اصبح انساناً بلا عاطفة ولا شعور .. كل ما بقي له هو قبس بسيط يدل على ان الحياة لا تزال تشتعل فيه ، ولكن كيف ينفلت ؟.. هناك ما يسمى في علم النفس بالعاطفة السائدة . وهي عاطفة اذا ما وجدت عند انسان فانها توحد وجهة عواطفه ونزعاته الغريزية المختلفة .. وهذه العاطفة السائدة هي التي تطبع شخصيات المجموعة بطابع واحد ، فكل فرد من هذه الشخصيات له عاطفته السائدة نحو امر من الامور او موضوع من المواضيع. فالصبي رشيد في قصة « اكابر »يحصر كل اهتماماته في الجدي « عفريت » الذي « لم يبلغ بعد سن الفطام » ، وفي الديك الاحمر « سلطان » الذي كان « يطعمه من يده ، ويحمله على كتفه ، ويعتز بجماله وقوته ورخامة صوته ، وعلى الاخص بالترجيعة العذبة في آخر صياحه».

وستوت في « مصرع ستوت » لم يعد لها من هم في الحياة سوى « تسقط اخبار الضيعة ونقلها بسرعة البرق الى آذان الكبار والصغار ، موشاة ومنمقة ببراعة لا تجاري ، ومدعومة بأغلظ الاقسام التي لا تترك أدنى شك في صدقها » ، وكانت تجد في تسقط الاخبار الحرارة الكافية والخصب العاطفي اللذين تتجابب بهما لتدفع عنها الاحساس بالجفاف . والخالة مرشا في « ام وليست بأم » وجدت تعويضاً عن الجفاف الذي يلف حياتها في طفل جارتها الشابة ، فراحت تشمله بعنايتها وترعاه بأمومتها اليابسة ، وتستفيد من اللحظات القصيرة التي تتركه امه بحراستها اذا ما غابت عن المنزل فتلقمه « ثدييها الفارغين المتهدلين ». وعندما يبدأ الطفل بالرضاعة تحس الخالة مرشا بالحياة تدب فيها ويخيل اليهـا انها « تبصر رغوة اللبن حول شفتي الطفل ، وأنها تسمع انحداره الهنيء في بلعومه . وأحسست بأن ذلك اللبن كان يتقطر من كل خلية في جسدها ويجري في كل وريد من أوردتها ، فكأنه يسيل من عينيها ، ومن اذنيها ، ومن كل شعرة على رأسها ، ومن اعماق قلبها حتى اخمصيها » . وهكذا تدب الحياة في عروق الخالة مرشا ويعود اليها الخصب والحنان ، ويصبح الطفل الصغير بالنسبة إليها رمزاً عن العالم الآخر ، العالم الذي لا جفاف فيه . وصبحي في قصة « عصفور وانسان » بعد ان كان يحتقر الناس وقلوبهم الغليظة الخالية من الرحمة ، وجد السعادة والدفء في صديقه العصفور « بو الحن » الذي كان « يطعمه الحب قائلا :

— تعال .. تعال .. صبحي يحبك يحبك كثيراً يا بو الحن . صبحي يريد ان يطعمك . صبحي يريد ان يقبلك . لا خوف عليك البتة من صبحي . تعال . تعال كل » ، وصار بمستطاع صبحي ان « يأخذ العصفور في يده ويشبعه لثماً وتدليلا » وذلك في نظره « كان السعادة التي ما بعدها سعادة » .

وهكذا يعوض شخوص هذه المجموعة عن الجفاف بالعاطفة السائدة نحو موضوع واحد من المواضيع ، فتتمركز كل اندفاعاتهم وميولهم نحو هذا الموضوع ، وقد استفاد المؤلف من فكرة « العاطفة السائدة » هذه لكي يعطي لقصصه جواً انفعالياً انسانياً يعوضها عن نقص الوحدة الزمنية .

ولكن هل تنتهي المأساة هكذا بتغلب الانسان على الجفاف ؟.. عندما جاء فصل الشتاء تجمد النهر ، وعندما عاد الربيع عادت الى النهر موجته الحرة النقية .. ولكن هل تقف مأساة الانسان عند هذا الحد الذي انتهت اليه مأساة النهر ؟ هذا اذا كان للنهر مأساة ! .. لا ! ان الانسان يختلف عن النهر لأن هناك مرحلة ثالثة تنتظره .. مرحلة لن يؤثر فيها الربيع ولن يذيب ثلوجها ..

وهذه المرحلة لا تأتي بسرعة حتى تزداد دراماتيكية المأساة .. والقدر يترك للانسان فرصة ولو قصيرة يتمتع فيها بانتصاره الموهوم ! فرصة يعتقد فيها الانسان أنه وجد السعادة المنشودة ، وان الشتاء لن يجد الى حياته سبيلا بعد الآن .. وتلتمع الابتسامات على ثغور البشر .. لقد ذاب الجليد .. انهم وجدوا الحنان اخيراً .. ولكن القدر ليس غافلا عنهم .. انه لهم بالمرصاد .. وهو يعد ضربته الحاسمة .. القاضية .. لابد ان تكون ضربة حاسمة لا تقوم بعدها للانسان قائمة .

وهكذا في اوج فرح الانسان .. الفرح المطلق .. وفي ذروة حماسه واندفاعه تأتي ضربة القدر القاسية .. الضربة التي تجعل الانسان سخرية السخريات ، وتتركه بعدها حطاماً لا قيمة له .

والقدر عند الاستاذ نعيمة قوة ميتافيزيقية ، غيبية ، لا يستطيع الانسان ان يفهمها .. قوة غامضة وسريعة وحاسمة يختلج بعدها الانسان اختلاجة كالطائر الذبيح ثم يدخل في عالم العدم والاندثار .. وهذه القوة المجهولة لا تقف امام شيء بل هي تهدم وتحطم وتتابع دورتها الجبارة وكأنها تريد إزالة كل الدفء من العالم . واذا بالانسان يرى نفسه « صغيراً وصغيراً جداً . وضعيفاً ضعيفاً جداً » كما يقول الاستاذ نعيمة في قطعته المنشورة « في العاصفة » وعندئذ لا يتبقى امامه سوى الاستسلام والخضوع ، هذا اذا بقي له وجود .. وهكذا تنتهي المأساة .. مأساة الانسان الذليل ، العبد ، امام قوة القدر .. ويسدل ستار الختام على اشلاء الانسانية الواهمة .. بينما نحن – انا والقارئ والجميع – نقف مشدوهين والسخرية المريرة تنقط من وجوهنا ، ولكننا لا نستطيع حراكاً . وهل يحارب الهواء !..

وهكذا طفق رشيد – بعد ان فقد ديكه وجديه – « يعدو في اثر السياره (التي هي هنا رمز عن قوة القدر السريعة) بكل ما في ساقيه من قوة وسرعة ، وهو يصيح كالمجنون :

– عفريت . يا عفريت ! سلطان ! سلطان !

وكانت السماء تسمع الصراخ والوادي يردد صداه ».

وكذلك ستوت تنتهي الى القبر بعد ان فشلت في تسقط اخبار احد بيوت القرية الذي ظل عصياً عليها كالحصن المنيع .

وكسار الحصى « راح يغتسل في البحر ولم يرجع .. خسارة ! ».

اما الخالة مرشا فبعد ان مات الطفل الذي أعاد اليها الاحساس بالحياة والحب جنت وحبست نفسها في البيت « تجري من جانب فيه الى جانب ، والى صدرها وسادة تضمها بحنان لا يوصف ، ثم تدفعها في الهواء لتتلقفها بيديها الاثنتين وهي تصيح بأعلى صوتها :

– ها – ها – ها – هاي – هاي – هو – هو – يقبرني الزغلول . يقبرني .

اما صبحي في « عصفور وانسان » فإنه يرتكب جريمة قتل وينتهي الى السجن بعد ان كسرت رجله . وصادق في قصة « صادق » ينتحر بعد أن ترك ورقة كتب فيها « تباً لدنيا لا مجال فيها لصادق » .

وهكذا تنتهي المرحلة الثالثة من صراع الانسان مع القدر .. انتهت بهزيمة الانسان المرة .. وعاد الشتاء الى الحياة وعاد معه الجفاف والقسوة .

الجفاف ، ثم محاولة الانفلات منه ، ثم ضربة القدر القاسية ، هذا ما يحدد مأساة الانسان عند الاستاذ نعيمة في مجموعته « اكابر » . وهذا الموقف الذي يبين لنا بصراحة ان الاستاذ نعيمة فاقد الثقة بقدرة الانسان هو الذي يجعلنا نتردد كثيراً عندما نحاول ان نقول عنه انه اديب شعبي او واقعي .. ولا اعتقد ان الواقعية ، الواقعية المؤمنة بالإنسان وبقدرته على الكفاح وبانتصاره ، ترضى بأن يكون الاستاذ نعيمة من بين كتابها . وانا اعتقد بأن موقف الكاتب

مجموعات « الآداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الأربع الاولى من « الآداب » تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل.ل	٥٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ « «	٣٠ « «
« « الثالثة	٢٥ « «	٣٠ « «
« « الرابعة	٢٥ « «	٣٠ « «

التشاؤمي هذا ناتج عن انعزاله عن قضايا شعبنا .. شعبنا العربي الذي يخوض معركة البقاء مع قدر الاستعمار ومع الدونية والقزمية والشيئية والجفاف .

وبعد ، انا اعتقد ان لكل كاتب حدوداً معينة لا يتجاوزها عندما يحاول ان يعبر تعبيراً فنياً صحيحاً عن افكاره . فما هي الحدود الفنية التي يقف عندها الاستاذ نعيمة ؟

مما لا ريب فيه ان قصة « اكابر » هي اكثر قصص المجموعة اكتمالا ونضجاً ، ولعلها من اروع القصص العربي الحديث . ولا ريب ان القارئ سيؤمن ايماناً ثابتاً بعد قراءتها انه لن تقوم « للأكابر » بعد اليوم قائمة . ولكن هذا الفضح لهذه الطبقة الطفيلية في مجتمعنا العربي يفقد كثيراً من قيمته عندما نتبين فكرة الكاتب عن الانسان والقدر .

ثم هنالك محاولة فنية اخرى ينال بها الكاتب اعجابنا وإن لم تبلغ المستوى المطلوب ، وهي كتابة الحوار بلغة فصحى ، ولكنها أقرب الى العامية منها الى الافتعال . وهذا ما يفسر لنا ما يشيع في الحوار من صدق وواقعية وعفوية .

ولنا مأخذان من الناحية الفنية على هذه المجموعة .. الاول هو ان بعض القصص لا يزال ينقصها المستوى الفني الناضج كما تنقصها وحدة الزمن التي هي عامل اساسي في نجاح كل قصة قصيرة ، ولكن المؤلف عوض عن ذلك بوحدة العاطفة السائدة كما قلت آنفاً . اما المأخذ الثاني فهو ان بعض القصص لا تتناول ما هو محتمل الوقوع وما هو في حدود العلاقات العامة للحياة الانسانية كما في قصة « صادق » وقصة « عابر سبيل » .

وفي النهاية اقول ان هذه القصص لا تندرج تحت لواء اية مدرسة من المدارس الفنية المعاصرة ، ولعلنا نستطيع ان نضمها الى المدرسة الكلاسيكية ، هذا اذا كانت المدرسة الكلاسيكية تشتمل على مثل هذه الانواع الادبية .

وانا اشعر الآن اني كنت سلبياً تماماً ، وانني افتش عن عذر لذلك ، فلا أجد امامي إلا كلام الاستاذ نعيمة عن عمل الناقد اذ قال عنه : « هو نقد النقد ، وهو مدين به الى عمل الكاتب ، فلولا الكاتب لما كان الناقد . ولا يصح العكس وذلك هو الفارق الاول والاهم ما بين الاثنين » . ولعلني في كلمتي هذه لم اخرج عن خطة الاستاذ نعيمة نفسها .

حلب — **جورج طرابيشي**

الشعر في بغداد

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

تأليف أحمد عبد الستار الجواري

منشورات دار الكشاف – بيروت ٣٣٠ ص .

•

لست أعلم بين مؤلفات الشباب التي تصدت لبحث قضية الشعر في العقود الأخيرة كتاباً كان له هدف معين واضح ، واصطنع مؤلفه الطريقة العلمية الدقيقة ، في اختيار السبيل إلى هذا الهدف ، وفي ترسم تلك السبيل ، كما قيد لهذا الكتاب من هدف ومنهج بحث . ولقد شاء القدر أن يوفر لهذا البحث جميع عناصر النجاح ، فدفع إلى العمل فيه شاباً جامعياً أنفق في العمل فيه سنين مضنية يوجهه ويسدد خطاه اساتذة جامعيون ، ثبتت أقدامهم في ميدان البحث العلمي ، فكانت توجيهاتهم وتسديداتهم ضماناً للمؤلف من العثره ، كما كانت اضواء كشافة على الميدان الفسيح الذي أخذ نفسه على التنقيب فيه والكشف عن معالمه . ثم اكتمل جدّ الكتاب بالمزايا الفريدة التي يتمتع بها الكاتب : من طول أناة وصبر ، وبصيره متفتحة واعية ، وذخيره طيبه من المعلومات والخبرة حول كل ما يمت إلى موضوع بحثه بصلة؛ يتوج كل.ذلك أداة صالحة من لغة صافية قويمة ، تخطر في ذهن القارئ أجواء كتابات المقفع وعبد الحميد .

وما لنا وللتحوم حول مزارنا ، تعالوا بنا ندخل ابهاءه ونطوف بأرجائه.

يجعل الكاتب مدخله إلى البحث بيان الفارق بين الدراسات التي تستهدف الشخصيات والبيئات الخاصة ، وبين تلك التي ترمي الى الإحاطة ببيئات عامة ، كتلك التي تنتظم ما أخذ نفسه به من عمل ؛ ويبين حظ الأولى من قرب التناول والإصابة ، وما يواجه الثانية من عقبات ومصاعب . ثم يستعرض المؤرخين الذين كتبوا عن بغداد ، ويبين الأسباب التي دعته إلى انتخاب هذا البحث ، وينهي هذا المدخل أو المقدمة بتخطيط مختصر لأبواب بحثه وبيان تسلسلها .

أما الباب الأول فيبتدئ في الكلام عن بغداد في العصور القديمة وتسميتها وأصلها ، وهذا البحث يقوده إلى ملاحظة أصل بغداد السامي ، ثم العربي ، مما يحمله على القول بأنه :

« يترتب على هذا الترجيح نتائج تاريخية خطيرة في تاريخ الحضارة الإسلامية التي حملت بغداد شعلتها بضعة قرون ، ونسب الفضل فيها إلى غير العرب الى حد كبير ، وبخاصة الفرس . »

ثم يتابع كلامه عن مبدأ معرفة العرب ببغداد ، ثم عن بنائها وأسبابه . وتتتابع فصول الباب الأول ، فاذا بالمؤلف يرسم لنا صورة عامة للحياة الاجتماعية والعقلية في بغداد ، فيصف لنا الحياة العامة التي كانت تحياها وأثر الخلفاء فيها ، ويبين لنا تكوين المجتمع البغدادي ، معدداً عناصر الحياة الاجتماعية فيه . ثم يتكلم عن الحياة العقلية وعناصرها ، مبيناً مختلف التيارات التي كانت تتماوج فتؤلف ذلك النهر العظيم الذي سار بالحضارة الإنسانية إبان ذلك العصر الذهبي للدول الإسلامية .

لقد كان المؤلف في هذا الباب مؤرخاً واعياً ، برهن عن إحاطة تامة بالموضوع ، ثم أظهر عن ملكة ملاحظة نافذة وموهبة حكم صائبة . فهو يستعرض عديد الآراء لمختلف المؤرخين حتى ليكاد يستقصيها ، ثم يقارن بينها ، ويصوب ويخطيء ، فاذا بالقارئ يخرج من كل ذلك بزاد دسم ومعلومات صقيلة ، وآراء واضحة وأحكام صائبة : ذخيرة يمكن له الاعتماد عليها في رحلته عبر البحث الذي هو مقدم على الخوض فيه .

ثم ننتقل مع المؤلف إلى الباب الثاني من الكتاب ، وقد كرسه « الشعر في طريقه إلى بغداد » .

يتكلم الكاتب في هذا الباب عن قدم الشعر العربي ، ويدلل على توغله في القدم بالدرجة الرفيعة من التكامل التي كان عليها ، عند مشارف القرن الذي ظهر فيه الإسلام . أما عن طبيعته في تلك العصور ، فيرى أنه يمكن اختصارها بوصفه « بالأداة الثقافية الكبرى » لتلك العصور . ثم ينتقل بعد ذلك إلى الكلام عن مكانة الشعر في الحياة العربية ، ويعقد ، بمناسبة ذلك ، موازنة بين الشعر العربي والشعر اليوناني يتخذها سبيلا إلى بيان مختلف خصائص الشعر العربي : الفنية والتعليمية والاجتماعية والزمنية ؛ ويفيض في الكلام بصورة خاصة عن غاية الشعر العربي ووظيفته . فاذا ما انتهى من ذلك ، عمد إلى الكلام عن الشعر بعد الإسلام ، فقدم لنا مبحثاً من أطرف مباحث الكتاب وأحفلها باللمعات المتألقة . وهنا يعمد المؤلف إلى بيان دور العراق في الحفاظ لتراث الشعر القديم ، ويبين الدوافع الجغرافية والسياسية والتاريخية التي رشحته للقيام بهذا الدور ، حتى إذا ما انتهى من ذلك ، عمد إلى بحث بواكير التجديد في الشعر ، فرسم لنا لوحة قوية التعبير ، عن الوجهات الجديده التي ستنى الشعر العربي يترسمها في مستقره الجديد : بغداد .

نحن الآن مع المؤلف في الباب الثالث من الكتاب ، الذي خصصه لدراسة « العوامل التي أثرت في الشعر بغداد » . إنه يستهل هذا الباب بدراسة العامل السياسي ، فيلاحظ أن العراق ، بما كان معتركاً للرعيل الأول من أهل الرسول وصحابته ، وبما أورثه هذا التعارك بين هؤلاء النفر من الشخصيات في أهل العراق من جرأة على النقد والحكم ، كان أصلح أرض تنمو فيها أنواع التشيع والولاء ، وتكون مجالا لازدهار الشعر السياسي المختلف نزعاته . ثم يتنقل بين العناصر التي كان يزخر بها المسرح السياسي آنذاك ، مبيناً دور كل منها وأثره : كالعنصر العباسي والعلوي والأموي . ثم يبين أسباب ضعف الشعر السياسي أيام العباسيين ، لينتقل بعد الى العامل الاجتماعي . إنه يظهر لنا ، في لمحة مشعة خاطفة ، الفارق الرئيسي بين عماد كل من الدولتين . ثم ينتقل إلى الكلام بتخصيص ، عن الأعاجم والشعوبية ، وعن أثر كل منهما في الحياة العامة وفي الشعر ، كما يتحدث عن الروح العربي لينتقل إلى العامل الحضاري . وهنا نراه يفصل الكلام عن حضارة الكوفة والبصرة ، حتى يصل إلى العناصر البغدادية في الحضارة من غناء وشراب وغناء وشعر . فإذا ما انتهى من ذلك عرض للعامل العقلي الذي أثر في الشعر ، فتكلم عن تراث البصره والكوفة ، ثم عن عناصر الحياة العقلية في بغداد ومشاركة الشعراء فيها ، وآثارها في الأدب والشعر ، وتمثل الشعر لما جاء فيها من جديد ، وآثار كل ذلك في أسلوب الشعر وتراكيبه ، وصوره التعبيرية وموضوعاته والوحدة الفنية في القصيدة .

أما الباب الرابع فقد وقفه الكاتب للكلام عن « الشعر بين القديم والجديد » . وقد مهد لهذا الباب بتمهيد جد طريف ، أوضح فيه الدور الذي تفردت به بغداد بين عواصم الدول العربية المختلفة : من الجمع بين رئاسة السياسة والشعر في آن واحد . وإنه ليفصل عوامل التجديد ، فيتكلم عن أثر السياسة وغلبة الأعاجم ، وشيوع الحياة الحضرية والتقدم العقلي ، لينتقل بعد إلى الكلام عن الشعر والشعراء بين التجديد والتقليد ، وعن الاتجاهات الفنية في الشعر . وهنا نصل إلى بحث طوائف الشعراء ، فنقرأ عن المجددين ، ونطلع على تحليل طريف لشخصياتهم ، وللتيارات العقائدية والشعورية والسلوكية التي كانت توجه إنتاجهم الفني . ثم عن المتفننين ... وقد جعلهم المؤلف مدرسة ، بين لنا دعائمها واتجاهاتها ، ومجالات تجديدها ، وسبلها إلى ذلك ، ليختم الكلام

عن طوائف الشعراء بالمقلدين .

ثم نأتي إلى الباب الخامس ، وهو خاتمة الأبواب . وقد خصصه الكاتب للكلام عن مظاهر التجديد في الشعر . فبحث ما جد في الهجاء ، وفي الحكمة والزهد ، وتكلم عن الشعر التعليمي ؛ ثم انتقل إلى الجديد في وصف الخمر ، وإلى الكلام عن الغزل بالمذكر ، وعن نزعة محاربة القديم ، ليتحدث بعد ذلك عن الجديد في الصورة والأسلوب ، فيفصل التجديد في الأوزان وفي سهولة الأسلوب ، مستعرضاً بعض الشعراء الذين أتوا بفتوحات مشرقة في هذا الباب أمثال : ابن هرمة وبشار والعتابي ومسلم بن الوليد وابي تمام وابن المعتز .

وينتهي الكتاب بخاتمة ، كان أجدر بها أن تسمى تتويجاً . لقد لخصت فيها النقاط الخمس عشرة التي تمثل المنائر في الكتاب . فكانت بذلك متعة عقلية غالية ، تبقى زاداً دائماً ، يذكر مطالع الكتاب بما فيه من طريف ومفيد .

يلاحظ القارئ أني حرصت ، أثناء سوقي لهذه اللمحة الخاطفة عن الكتاب ، على أمرين :

أولهما : أن أعدد اللافتات إلى مباحث الكتاب ، بحيث يتبين للقارئ الركائز التي اعتمدها الكاتب لتشييد صرح مؤلفه .

ثانيهما : أن أغفل ذكر الاكتشافات الرائعة التي وصل إليها المؤلف ، حتى تكون النوال الذي يصيب القارئ إثر مطالعته لهذا الانتاج القيم .

لقد صدرت هذه الكلمة ببعض ميزات الكتاب والمؤلف ، وأراني هنا بحاجة إلى بعض الاستطراد في الموضوع . لقد قيل في ابي تمام : إنه كان في انتخاب ابيات «ديوان الحماسة» أشعر منه في قرض ما نظم من قصائد. ولست أزعم أن مؤلفنا قد وفق في انتخاب الألف والمائة من الأبيات ، التي استشهدها أثناء بحثه ، اكثر من توفيقه في الكلام عما استشهدها عنه ؛ ولكني أشعر بحاجة قوية الى التأكيد :أن توفيقه في اختيار هذه الأبيات لا يعادله إلا توفيقه في استقراء الأحكام منها ، والعكس هنا صحيح . الحقيقة أن هذه الأبيات هي ذخيرة فريدة من الأنوار المتفتحة ، انك لتقع فيها على كل جميل رائق ، فريد الشخصية واضح الألوان ، شديد التعبير ، حتى ليدلك على ميزات جيل بكامله من الشعر والشعراء .

وإذا كان لنا من حكم عام على المؤلف فهو أنه يجعل القارئ بعيد الأمل في العثور لديه على كثير من الحلول لمعضلات الأدب . من ذلك ما أملناه منه عندما تكلم عن قدم الشعر العربي ، ودلل على ذلك القدم بالدرجة الرفيعة من التكامل التي كان عليها عند مشارف القرن الذي ظهر فيه الإسلام ، فإنه لم يفض في الحديث عن العصور الأولى للشعر العربي ، وإن كان قد ذكر أن الإسلام ، وما استدعاه من محاربة ناجحة لكثير من تراث الجاهلية الاجتماعي ، قد استدعى ، فيما استدعى إهمال التراث الشعري لذلك العصر ، أو إهمال معظمه على الأقل . إن المعضلة التي ظلت إلى الآن بدون حل ، هي ذلك التباين الساحق في درجة الرقي بين الشعر في العصور السابقة للإسلام ، كمظهر من مظاهر المجتمع في شبه الجزيرة العربية ، وبين بقية المظاهر الحضارية في ذلك المجتمع ؛ ونحن وإن كنا نوافق على أن هذه المعضلة هي أوسع من أن تقتصر على الناحية اللغوية أو الفنية لشعوب المجتمع في الجزيرة قبل الأسلام وأنها تمتد إلى أوسع من ذلك بكثير ، فتكون معضلة في تاريخ الحضارة العام ، يستدعي بحثها ، بله حلها ، مؤلفات خاصة ، إلا أن سعة اطلاع المؤلف ، وصفاء ملكته الناقدة ، وصواب أساليبه في إصدار الأحكام ، جعلنا نرنو إلى أن يخص هذه المعضلة ببعض اهتمامه ، فيكون لنا من ذلك فائدة ومتعة ، كتلك التي افدناها في مباحث الكتاب الأخرى .

زهير فتح الله

الثريات الانيقـــــــة

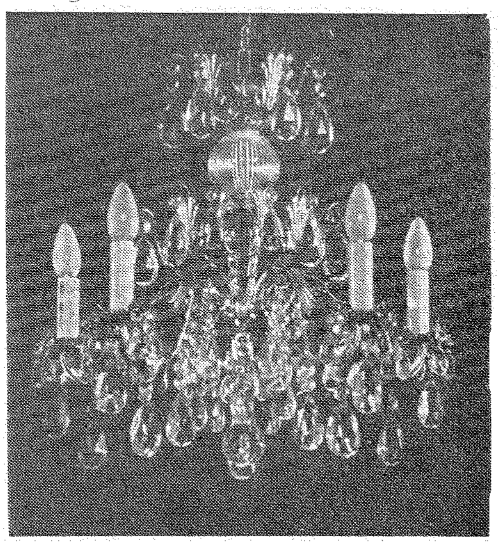

والاواني الجميلة

تجدونها في معارض

كمال وشركاه

جانب اوتيل بريستول – بيروت